أعلاق أندلسية
مالقة (٣)

سلسلة الفهارس والبرامج
(٤)

كتاب
المآرب الوافي والمشرع الصافي

نظم الإمام العلامة
أبي جعفر أحمد بن الحسن ابن الزيات الكلاعي المالقي
المتوفى سنة ٧٢٨هـ

وهو قصيد انتظم برنامج مشايخه ومروياته ومؤلفاته
ووصية ولده وجملا من أصول العلم تتخلل كل ذلك

قرأه على دستور المؤلف بخطه
د. محمد الطبراني
أستاذ التفسير المشارك
جامعة القاضي عياض - مراكش

دار الحديث الكتانية

أعلاق أندلسية
مالقة (٣)

سلسلة الفهارس والبرامج
(٤)

كتاب
المآرب الوافي والمشرع الصافي

نظم الإمام العلامة
أبي جعفر أحمد بن الحسن ابن الزيات الكلاعي المالقي
المتوفى سنة ٧٢٨هـ

وهو قصيد انتظم برنامج مشايخه ومروياته ومؤلفاته
ووصية ولده وجملا من أصول العلم تتخلل كل ذلك

قرأه على دستور المؤلف بخطه
د. محمد الطبراني
أستاذ التفسير المشارك
جامعة القاضي عياض - مراكش

دار الحديث الكتانية

أبي جعفر أحمد بن الحسن ابن الزيات الكلاعي المالقي
نظم الإمام العلامة
كتاب المآرب الوافي والمشرع الصافي
دار الحديث الكتانية

جميع الحقوق
محفوظة

دار الكتب الكتانية

المملكة المغربية ، طنجة - شارع لبنان -إقامة يامنة- الطابق الثالث رقم ٤٧
هاتف ٠٠٢١٢٦٥٦٩٩٣١٤٧
الجمهورية اللبنانية ، بيروت - شارع برج أبي حيدر- ص.ب ٥٥٥٦-١٤ بيروت
هاتف ٠٠٩٦١-٣-٢٨٧٨١٩/٠٠٩٦١-١-٨٤١٦٣٦
e-mail. dar.alkatani@gmail.com

يحظر طبع أو تصوير أو ترجمة واختصار أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً
أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته
على إسطوانات ضوئية إلاّ بموافقة الناشر خطياً

الكتاب : كتابُ الْـمَأْرَب الْوافي والْمُشْرَع الصّافي
المؤلف : أحْمد بْن الحسَن ابْن الزّيّات الْكَلاَعِيّ المالَقي
تـحقيق: د. محمّد الطَّبّاني
الطبعة : الأولى ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م
الإيداع القانوني: 2018MO3741 **ردمك:** 978-9954-698-31-0

آلآراء آلواردة في آلكتاب لاتعبر بالضرورة عن آراء آلدار

تطلب منشوراتنا من

المغرب: دار الأمان - الرباط - زنقة المأمونية
هاتف : ٠٠٢١٢٥٣٧٢٦٣٧٨٧
الأردن : دار مسك -عمان -العبدلي
هاتف : ٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠
تركيا : دار باب العلم: إستقلال م. مهراج س. بناء: ٥٦ عمرانية / اسطنبول
هاتف : ٠٠٩٠٥٣١٢٨٥٣٥٢٥+
القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر - ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي
هاتف : ٠٠٢٠٢٢٥٩٣٢٨٢٠

فهرس الموضوعات

رَجْعٌ وصَدْعٌ: ٧

إلمامةٌ بالمؤلِّف ١٩

عُجالةٌ في التّعْريف بالمؤلِّف ١٩

حالُه: ٢١

مشْيختُه ٢٢

تصانيفُه: ٢٤

ومنْ تواليفِه: ٢٥

نشْرُه: ٢٦

دخولُه غرْناطة: ٣٥

مؤْلدُه: ٣٥

وفاته: ٣٥

إلْمامةٌ بالْكتاب ٣٩

وصْف النّسْخة: ٤١

رموز: ٤٨

اسْمُ الْكتاب ونسْبتُه: ٥٣

تاريخ التّأْليف: ٥٤

الدّاعي إلى التّأْليف: ٥٨

تعْريفٌ بالْقصيدةِ ومَعَاقِدِها: ٦٥

الاحْتذاءُ والاهْتدام، أو التّنَاصُّ في القصيدة: ٧١

سَنَنُ التّحْقيق والتّعْليق: ٧٧
النّصّ الْـمُحقّق ٨٣
ذِكْرُ ما أدَّتْ إليه سابِقَةُ النَّظَر وحَمَلَتْ عليه صَادِقَةُ الخَبَر ٨٩
ذِكْرُ الارْتِمَاضِ لِمَا جَرَى مِنْ ذَهَابِ مَصَابِيحِ الْوَرَى ٩٧
ذِكْرُ مَنَاقِبِ الأحبابْ وما خُصُّوا به منْ رَجَاحة الألْبابْ ١٠٧
ذِكْرُ الإقْبالِ على تَوْبيخِ النَّفْس لاطِّرَاحِهَا الاسْتِعْدَادَ للرَّمْس ١١٣
ذِكْرُ إفْرَاغِ قُوَّةِ المُجْتهد في وَصِيَّةِ فِلْذَةِ الكَبِد ١٢٣
ذِكْرُ شَرَفِ الْعِلْمِ والْعُلَمَاء وما تميَّزوا بِهِ مِنْ عَظِيمِ الثّنَاء ١٢٩
ذِكْرُ التّحْذِيرِ مِنَ الابْتِدَاعِ والْحَضِّ عَلَى لُزُومِ الاتِّبَاعِ ١٣٣
ذِكْرُ الفِرَقِ الزّائغة عنِ الْحُجَجِ الدّامغة ١٣٧
ذِكْرُ الأرْكان الْمعْتَقَدَة ورفْضُ الشُّبَه الْمُنْتَقَدَة ١٤٣
ذِكْر ما لأهْل الذّكاء والْحَدْس من الْكلام في الرُّوح والنّفْس ١٥٥
ذِكْرُ إيرادِ الْوصايا والنّصائح والحثِّ على تَرْكِ المَسَاوي والْقبَائح ١٥٩
ذِكْرُ ما إليْه اسْتراحةُ بعْضِ الْقُلوب منَ الْكشْفِ عنْ شيْءٍ مِّن السِّرِّ الْمطْلوب ١٧٥
ذِكْرُ التّنْبيه على النّظر في منْصُوبِ الْحِكَم والْحمْلِ على شُكْرِ ما لله علَيْنا منَ النِّعَم ١٨٥
ذِكْرُ تمْهيدِ الْقاعدةِ الإيمانيّة وتوْطيدُ الْفائدةِ الإحْسانيّة ١٩١
ذِكْرُ الْغَرَض الأكيد ورَصِّ الأُسِّ الْمَشِيد ٢٠٩

تـوْفِـيةُ مَـوْعِد وتصْفِـيةُ مَـوْرِد..... ٢٦٩
الفهارس التفصيلية ٢٨١
فهرس الآيات القرآنية ٢٨٣
فهرس الأعلام والجماعات والقبائل..... ٢٨٤
فهرس الأماكن..... ٢٩٣
فهرس القوافي ٢٩٥
فهرس الكتب..... ٢٩٧
فهرس المناقل ٣٠٦
فهرس الموضوعات ٣١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصّلاةُ على رسول الله وآله وصحْبه

رَجْعٌ وصَدْعٌ

كثيرًا ما تضيعُ على المحقِّق في غمْرةِ أمّه إلى الأهمّ في عمله، وتلافي ما سواه، تفاصيلُ يراها غيْرَ جديرةٍ بالْإيراد، أوْ يخْشى إنْ هو جلَبها أنْ يقع تحْت ضِرْسِ أغْمار النّقَدة، فيذْهبُ بطيِّها بعْضُ الإمْتاع، وتُطْمَرُ تحْت ركام النّسْيان ملامحُ خُطُواتٍ وآثارِ سيْر ما كانَ أهْدَاها لكثيرٍ لوْ تُقُفّيتْ. وقد طفقْتُ أردّدُ هذا النّظَر لإهْماله أوْ إعْماله، حتّى قرَّ عنْدي أنْ أسوقَ طَرَفًا منْ ماتّةٍ تربطُني بهذا الجزء مُنْذ أرْبعٍ وعشرين سنة، فإنْ لم يكن ذلك من الْعِلم، فليكنْ من اللّطائف والطَّرَائف لوْ يُسَلّم لي.

وبيانُه؛ أنّي في يوْمٍ متقادمٍ لذلك العهْد، دلفْتُ بثقة إلى خزانة ابْن يوسفَ في مقرِّها الجديد[1]، وطلبْتُ من الحاج الشعبي وهو الموظّفُ الذي وُكِلَ إليه أمر المخطوطاتِ، أنْ يُمدّني بسفريْن كتبْتُ اسْمهما على قُصاصة ورقٍ، فأخذها منّي بحَنَقٍ بالغٍ لمْ يُفْلحْ في كظْمه، ثمّ لمْ يأْتني بشيْءٍ...والحقُّ أن الرّجُلَ كما عرفتُه، طيّبٌ غايةً، ولكنّه في تضاعيف سنواتِ خدْمته المديدةِ يوْمئذ، لمْ يعْهدْ أنْ يسْأل عن المخطوطات إلاّ كهْلٌ

---

(١) نُقلت الْيوْم إلى مقرِّها القديمِ بحذاء المسجد اليوسفي العتيق، فانْقلبت إلى مُستقرِّها ومنتماها الأوّل.

رصينٌ، أو شيْخٌ وقُورٌ، أو عالمٌ مشْهورٌ، فكان يرى تردُّدِي -وأنا فتىً يوْمَها- على الخزانة لطلب المخْطوطات نيْلًا منْ هيْبته، وتمْريغًا لسُمْعته في الْوَحَلِ، وحطًّا من قدْر خزانةٍ كان عهْدُ النّاس إلى قريبٍ أنْ يدْخلوها على طُهْر، فهذا أوانُ أُنْسىءَ له في المدّة، وأسْلَمه الْقَدَرُ إلى أنْ يتعامل مع الْأوْلاد الصّغار أوْ مَنْ في حُكْمهمْ، وكنْتُ أعْلم منْه ذلك، فأتغافلُ عنْ تأفُّفه المسْتمرّ، وتسْويفه المرْهِق، فلا أزيدُ على أنْ أتسمَّرَ في مكاني كجبل چيليز، حتّى يُوافيَنِي بالطَّلِبة، أوْ يُشْفقَ عليّ أحدُ الموظّفين، فيُخْبرني على اسْتحْياءٍ -وهو يتلفّت- أنّ الحاج قدْ غادر منْذُ ساعة، وأنّه لا معْنى لانْتظاره...وقد ألِفْتُ منْه التّفلُّت، وألِف منّي الإضْجار، ثمّ رضخ آخرَ الْأمْر، غلبتْهُ طيْبوبته، وشيْءٌ من عنادٍ أو عزْمٍ -لسْتُ أدْري- لمْ يُبارحْني إلى الْيوْم...ثم صار فيما بعْدُ لا يُغالبُ الابْتسامَ كلّما وقعتْ عيْنُه عليّ، وهو يرومُ أنْ يتصنّع الْجِدَّ.

وكان للخزانة حينَها مُديرٌ حَسَنٌ صَبُوحٌ حقًّا، هو الأستاذ حسن صَبَاح، وكان منْ فرْط لُطْفه خفيضَ الصّوْت، فتحْتاجُ للحديث معه إلى الْإصاخة الْواعية، فقصدْتُهُ وعرّفْتُهُ يوْم ذاك أنّني ألْقى عَنَتًا في النّظر إلى أسْفار المخْطوطات، فجاذَبني الحديثَ حتّى يطْمئنّ إلى جَدَارتي في التّعامل معها فيما خُيّل إليّ، ثمّ مكّنني للتّوّ من المخْطوطتيْن اللّتيْن طلبْتُهما: نسْخةُ الْجليسِ الصّالح الْكافي، والْأنيس النّاصح الشّافي، للْمُعافَى بْن زكريّا الْجَرِيريّ (ت ٣٩٠ هـ)[1]، تأْتي منْه في نحْوِ النّصْف -أي: في خمْسين مجْلسًا- ثمّ مجموعٌ أوّلُه كتابُ الْمقام المخْزون، لأبي

(١) كان الكتاب حينها مخطوطًا لمْ يطْبعْ بعد.

جعْفر أحْمد بْن الحسن الْكَلاعي (ت ٧٢٨ هـ). والذي يعْنينا في هذا الاقْتضاب، أنّني تصفّحْتُ مجْموع الكَلاعي فأخذ بجِماع قلْبي، إذْ كان نسْخةً أنْدلُسيّةً خزائنيةً رصينةً باذخة، لوْلا أنْ لحِقها ما يلْحقُ النّفيس منْ كلّ شيْء منْ إسْراع الْأدْران إليْه، وأخْذِها بتلابِيبه، وقدْ زحفتِ الْأرَضةُ على رؤوس الْأوْراق وأطرافها، فغُلِّفت للتّلافي بالْبلاستيك، ففعلَ بها الْأفاعيل، ومَنَعها من التّنفُّس، فاخْتنقتْ مكْظومة، وكان مأْتاها منْ مَأْمَن...وحاولتُ حينَها أنْ أُفِيدَ من النّسْخة، ولكنّ حالَها ضرب بيْني وبيْن ذلك بسُرادقٍ مظْلم. ثمّ انْصرمت السّنون وقد اسْتصْحبْتُ في خَلَدي أنّ المجْموع غيْرُ صالحٍ للنّشْر بحال، أو هكذا بَدَا لي حينَها، فانْصرفْتُ عنْه انْصراف مَنْ أَيِسَ من الْعَوْد.

وعنّ لي عنْ قَريبٍ -أي: بعْد ما يربو على الْعقْدين وزَيِّدٍ- أنْ أشْتغل بشيءٍ منْ أدب المغاربة والأنْدلسيّين، فذكرْتُ تلك النّسْخة، وعزمْتُ أنْ أجدّد النّظر فيها؛ فلمّا فعلْتُ، زَايَلَني ما قرّ عنْدي منْ أنّ النّصّ في أمَنَةٍ من الإصْلاح، إذْ جرّبْتُ أنْ أقْرأه وأفُكَّ مغاليقَه فانْقاد خلافَ الْمُتبادر، واسْتوى عُظْمُهُ على سُوقِه، ورُمْتُ أنْ أتحقّق منْ ذلك فعرضْتُ صفْحًا أوْ أكْثر من «المأرب الوافي» على بعْضِ القَرَأَة، فأصْفَقَتْ كلمتُهمْ أنّ النّسْخةَ عصيّةٌ على التّحْقيق ما لمْ تُعَزّزْ بثانية، فكان ما فُتِحَ لي منْ تذْليل صِعَابِها، وخشْيتي أن تَضيعَ في تفْويف النّسْيان، داعِيًا إلى ما تَرَى من إخْراجها.

ونُسْخةُ المأربِ -دون أخواتِها ممّا ضمَّه المجموع- أمٌّ عتيقةٌ رُقِمتْ بخطٍّ مُنْشِئها، بيْد أنّ الْبِلَى حاق بها فأفْقدَها نضارتَها، واسْتبدّ بها حَيْفُ الْأرَضة فنالتْ منْها شرَّ مَنال، ورامَ منْ كان قصْدَه النّفْعُ أنْ يحفظها بغلافٍ من «الْبلاسْتيك»، فزادها رَهَقًا إلى رَهَقِها، وأفْسد منْ حيْثُ أراد أنْ يُصْلح،

وأساءَ مـنْ حيـث أراد أنْ يُحْسـن، فصارَ تصْـويرُها ذاهـبَ النّفْـع، إذْ ترْتَـدُّ وَمَضَاتُ المصوَّرة على الْغلاف الطّارئ، فتبْـيضُّ الصّـورةُ فـلا يتبـيَّنُ النّـاظرُ إلـى مواضـعَ منهـا شـيئا، فمِـنْ ثـمّ لـزِمَ لتحْقيـقِ هـذا الْكتـاب مُعَاينتُـه، بـلْ مُعانَاتُه، وذاك سِرُّ إحْجامِ كثيرٍ من الْعارفين بالْمكْتبة الأندلسيّة عـنْ تحْقيقـه إن تمحّض لهم عرْفانُه.

فإنْ غضضْـتَ الطَّـرْف عـنْ هـذا، لـمْ يُمْكنْـكَ أنْ تغُـضَّ الطّـرْفَ عـن اضطْراب ترْتيب أوْرَاقِ الجزْء، ولا عـنْ عشـرات المواضـع التـي انْطَمسـتْ فيها معالـمُ الْحروف أوْ ذهبَ منْها قدْرٌ من الْكلمات بل الْعبارات. ولوْ كـان اقْتصـر الأمْـرُ علـى عيْـثِ الْأرَضَـة لَـهَان، ولكـنّ الرُّطوبـةَ أخـذتْ بحظّهـا فزَحَفَتْ إلى أطْراف النّسْخة، وطَمَتْ لتصلَ صُلْبَ النّصِّ فـذهب منْـه قـدْرٌ، وكان جَنَفُهـا علـى الخطْبـة أفْـدَحَ وأفظـع، ولـوْلا التلبّـثُ الحثيـثُ والتّفـرُّسُ الدَّؤوبُ، لكنّا غُلِبْنا عليها فلَـمْ نَتلاَفَ منها ما وُفِّقْنا إليْه.

وممّا زاد في اضْطراب الْقراءة في مواضـعَ شـتّى، أنّ خُـرُوق الْأرَضـة قد صَغُرَتْ في أحيانٍ كثيرةٍ حتّى شاكلتْ نُقَطَ الحُرُوفِ فاشْتبهتْ بها، فتكادُ تَزْلِـقُ بَصَرَ المحقّق فتصْرفُه عنْ حقيقـةِ بعْـض الْكلمات...وكـلُّ هـذا الـذي ذُكر، يُحْوجُ إلـى اسْـتئْناسٍ لازبٍ بأسْـلوب المؤلّـف وفهْـمٍ عميـقٍ لمعانيـه، ومعْرفةٍ راسخةٍ بمصْطلحاته وحقْلِـه المعْجميّ الْأقْـربِ إلـى قلْبـه، والأعْلَـقِ بقلمه...فعسى أنْ لا يكون بلاؤُنا فـي افْتكـاكِ النّسْـخة مـنْ إِسـارِ الجهالـة، شفيعاً لنا دون إحْسَان قراءتِها.

* * * *

أمّا الدّاعي إلى احْتفائي بتحقيقِ هذا الجزْء منْ تراثِ أبي جعفر ابْن الزّيّات الْكلاعي البلِّشي المالَقي، فدوافعُ شتّى، نُجْملها فيما يتلو:

- أن المأرب الوافي أوّلُ فهْرسٍ منْظُومٍ يصِلُ إليْنا منْ عُدْوة الْأنْدلُس، ولا أعلمُ للحينِ أيَّ وضْعٍ بهذا المعنى في زَمَنِه يُعْلمُ مخْطوطًا أو مطْبوعًا[1]، وهو بهذا فهْرسٌ جديدٌ ينْضافُ إلى فهارس الأنْدلسيّين، لكنّه فهْرسٌ منْظومٌ على غيْر عادة الْفهارس والْأثْبات وكتب المشْيخات، وليْس مُرَجَّزًا على الطّريقة المدْرسيّة، ولكنّه قصيدٌ باذخٌ، لانَ لصاحبه فنُّ القوْل، وقويتْ عنْده مادّتُه، فجاء فهْرسًا متميّزًا يجْمع بين الْإبداع في شكلْه، والعلْميّة في مضْمونه.

ومنْ مكامن أهمّيته في تُراث ابْن الزّيّات، تضْمينُه لوصيّة ابْنِه، وذكْرُه لشيوخه ومؤلّفاته، والْإلماعُ إلى بعْض شُؤون ترجمته، واقْتراحُهُ برْنامجًا دراسيًّا للطّالب الْأنْدلسيّ، فهو إذًا يجْمعُ في إهابٍ واحد، بين الْقَصيد الجزْل، والتّأْليف الْفهْرسيّ، وجنْسِ الوصيّة التّرْبويّة الهادفة.

- أنَّ الجزْءَ بخطّ مُنْشِئِه، ونادرةٌ كُتبُ القرْن الثّامنِ في الأنْدلس الْوَاصلةُ إلينا بخطوط أصْحابها؛ لِمَا تضَافر من الْفتن والمحَن والاغْتراب، المُطوِّح بعيدًا بالْأصول، المضيِّع لكَثيرٍ من الْفرائدِ والنّوادِر.

- قيمةُ البلِّشيِّ في سِياقِ الْأدب الأنْدلسي في الْقرْن الثّامن، فقدْ جمع من الصّفات الْعلْميّة ما لو اسْتبدّ بأفْرادِه جماعةٌ على الْولاءِ لوسعَ أنْ

---

(١) ولذلك لم يَعْرضْ صديقُنا الْكبير الفقيد أ. د. عبد الله الترغي -رحمه الله- لشيءٍ من ذلك في «فهارس علماء المغرب»، بلْ ألَمَّ بتسميةِ ثلاثة فهارسَ منْظومةٍ لمتأخّري المغاربة (٩٦).

يَصْرِفَ عنْهمْ جَهالةَ الْعَيْنِ والْحال؛ يظْهرُ ذلك منْ خلال تحْلياتِ أبي زكريّا يحْيى السَّرّاج النَّفْزي (ت ٨٠٣ هـ) له، عنْد ذكْرِه في تضاعيف فهْرستِه؛ فهُو بإسْقاط المكرَّر: «الخطيبُ، الصّالحُ، النّاظمُ، النّاثر، المصنِّف»[١]؛ «المتصوّف»[٢]؛ «الشّيْخ، الأسْتاذ، العالم، الْعارفُ، الرَّبّاني»[٣]؛ «الْبليغُ، الرّاويةُ، الْمُسْنِد»[٤]. وبقي له أنْ يُحلّيَه بالسّفارة فإنّها كانتْ منْ شأْنه أيْضًا[٥]. ويبْدو شموخُ قدْرِه أيْضًا في أنَّ ابْنَ الخطيبِ السّلْماني (ت٧٧٦هـ) لمْ يُخْلِ أيَّ كتبِه في التّراجم منْ ذكْرِه؛ فقال عنه -للمثال- في الكتيبة[٦]: «رُحْلةُ الوَطن، ومَلْقَى الْعَطَن، وخبيئةُ الْعناية التي لا يَعْثُرُ عليْها إلاّ أهْلُ الْفِطَر السّليمةِ والْفِطن، والخطيبُ الذي إذا نطَق أخْرَس سَحْبان، وإذا رَجَحَ خَفَّ مُتَالِعُ[٧] وأَبَان[٨]، وإذا تأوَّهَ بذكر الله تعالى تأرَّجَ الهنْديُّ والْبانُ،

---

(١) فهرسة السراج (نسخة الخزانة العامة بالرباط: ٢٦٤٣): ٦٨ و.

(٢) فهرسة السراج: ٧٧ و.

(٣) فهرسة السراج: ١١٧.

(٤) فهرست السراج (نسخة باريس): لوحة ٩٨ ب.

(٥) ن: ترجمته من الإحاطة وشيكًا.

(٦) ٣٤-٣٥.

(٧) ضبطت الميمُ في المطبوعة بالفتح؛ ولا يصحّ. ومُتالع «جبل في بلاد طيّء، ملاصق لأجَأ...ويقال له مُتالع الْأبْيض. وجبلٌ أيضا في بلادهم لبني صَخْرِ بْن جَرْم...يقال له مُتالع الْأسْود....». من كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار لأبي الفتح الإسكندري: ٢/٥٠٧.

(٨) «جبل بين فيد والنبهانية». من كتاب الأمكنة: ١/٥٧. وعادتهم يجمعانِهما في الذكر؛ مثلما فعل لَبيد: درَس الْمَنا بمتالع فأبانِ» (ن شرح الفصيح لابن خالويه: ٦٤).

والْوليُّ الذي تَضْربُ آباطَ مَطِيِّها إليه الرُّكْبان، حَثَا في وجوه السّابقين ثَانيًا منْ عِنانِ سَيْره، وجمع منْ شروط الْخطابة ما تفرّق في غيْره، صورةٌ[١] أنْشأها الله في أحْسن تقْويم، ومُجْتلىً أحبُّ إلى الْعيون من سِنَة التّنْويم، ولسانٌ[٢] يرْمي الْبَلابل بالْعِيّ، ويوقفُها إذا ادّعتْ نَسَبَ الْفصاحة موْقفَ الدَّعِيّ، وخشوعٌ[٣] يُعلِّمُ غِلاظَ الْكُبُود معاملةَ الْمعْبود، ونغْمةٌ بالسّبْع الْمَثاني، تُزْري بنَغَمات الْمَثالِث والمثاني، وصِدْقٌ[٤] يصْدَعُ بوعْظه الصّخْرَ، وإنْشاءٌ يتمّمُ هذا الْفخْر، إلى الْحفْظِ الأقْوى، والانْفرادِ بإحْراز قَصَبِ السِّباق في مجال البِرّ والتّقْوى. وهذه الشّروطُ قلّما اجْتمعْن في سِواه، ولا أَطَعْنَ إلاّ خافقَ لِوَاه، وكان يتدفّقُ بالشِّعْر تدفّقَ البحْر الزّاخر، ويتكلّمُ مُعْرِبًا في هذا الزّمان المسْتاخر، ومثْواهُ بالأندلس كعْبةُ الْمفاخر، بشهادةِ العظْم النّاخر».

ولا غرْو إذْ زكا الْأصْلُ أنْ يزْكُوَ قرينُه، فأخذَ منْ تلك الْحُظى بنصيبٍ أخُوه أبو مهذّب عيسى الزّيّات[٥]، وكان أيْضًا شيْخًا تصدّرَ للتربية.

ولمْ ينقطعْ ما لابن الزيّات منْ وُفُور القدْر عنْد وفاته، فلزِمه جميلُ الذِّكْر، وأتْبعهُ الْعلماءُ ثناءً باذخًا، وأظْهروا الْحسْرةَ على فِراقه، ورثاهُ شعراءُ الْوقْت، ولم يرِمْ أنْ زارَ قبْرَه على جهة التذكُّر والترحّم، الْغالبُ بالله

---

(١) في المطبوعة: «صورةً».

(٢) في المطبوعة: «ولسانا»؛ وبالكاد يتوجّه.

(٣) في المطبوعة: «وخشوعا».

(٤) في المطبوعة: «وصدقًا».

(٥) ن الإحاطة: ١٣٧/٣. ولعلّ «مهذب»، منقلبةٌ بالتصحيف عن «مهدي»، فإنّ هذه الكنية قليلة الدّوْر في الأندلس.

السّلْطان محمّدُ بْن نصْرٍ بنِ محمّد بْن يوسف النّصْريُّ (بقيد الحياة في ٨٤٩ هـ أوانَ خلْعِ نفْسِه من الملك)[١]، لمّا دخلَ بلِّش[٢].

- حاجةُ المكْتبة الْأنْدلسيّة إلى الاعْتناء بإنْتاجِ صاحبِنا الذي لا يعْرفُه غالبُ المشْتغلين بالأدب الأنْدلسي، بلْهَ غيْرَهمْ، ورغْم أنّ الرّجل تركَ ستّةَ كتبٍ على الأقلّ وقفْنا عليْها، فإنّه يجوزُ على كثيرٍ من الدّارسين الجهْلُ بها، حتى قال أحدُهمْ: «وقد ذكر ابْنُ الخطيب لابْن الزيّات، ما يُنَيِّفُ على عشْرين وأربَعَةِ عنوانٍ... وهي -فيما علمْت- كلُّها ما زالت تحْت طيّ النّسْيان، فلمْ يُكْتشفْ منْها أوْ يحقّق شيْءٌ»[٣].

- القيمةُ الْإبْداعيةُ المتفرّدةُ لمجْموع نثْره وشعْره، ولا سيما إذا علمْنا أنّه بحسب ما تأدّى إلى فهْمِنا منْ خلال التّصفُّحِ الْعجْلان لما وقفْنا عليْه منْ تراثه، مجدّدٌ أندلسي في الطّرائقِ الأسلوبية، وتوْليدِ المعاني على طريقة عُلَماء المتصوّفة؛ ولا بدْعَ، فقد كان الرّجُلُ «شيخَ الْفرق الصّوفيّة»[٤] في عصْره.

- تميُّزُ كتُبِه بأمْرٍ ذي بال، وهو المزَاوجةُ بين التّأْثير الأخلاقِيِّ الصِّرْف، المصْطبغِ بنحْلته الصّوفيّة، والبُعْدِ العِلْمي الدّيني، وآيةُ ذلك أنّه قلّما يُخْلي أعْمالَه وإنْ كانتْ علميّةً خالصةً من الْبُعْدِ التّرْقيقيّ التّرْبوي، والتّوْجيه السُّلُوكي، والانْضباط العقائدي.

---

(١) هو محمّد التّاسع (١٤٣٢-١٤٤٥ م) (البسطي لابن شريفة: ٤٧). ويلقب بالأيسر.

(٢) جنة الرضى: ١/٣٢٤.

(٣) الشواهد الواضحة النهج، لابن رضوان المالقي: ٣٨١؛ حاشية رقم ٢.

(٤) النفح: ٧/١٦٧.

- اكْتشافُنا لمخْطوطاتِ بعْضِ كتبه، كانتْ إلى أمَدٍ قريبٍ في عِداد المفْقود، نقَّبْنا عنها في خزائن الكتُب[١].

* * * *

وقدْ تَرَى فيما يتْلُو أنّنا ضرَبْنا صفْحًا عنْ أنْ نُفيضَ في التّرْجمة للزّيّات، وقَصَرْنا موْضِعَ الْحاجةِ منْها على تصْحيحِ ترْجمة ابْنِ الخطيبِ في الإحاطة وتخْليصِها مِنْ عُظْم ما كان اعْتراها من السَّقَط والتّصْحيف، وذلك أنّنا علّقْنا ذلك بمشيئةِ الموْلى على صُنْعِ ترْجمةٍ له حَفيلة، تضمُّ أشْتاتَ منْثورِ أخبارِه وأشْعاره في بطُون كتب التّراجم والتّواريخ والآداب، وتعرِّفُ بما وقفْنا عليه منْ كُتُبه وأنظامِه ممّا لمْ يسْبقْنا إليْه سابقٌ بعوْن الله، وترْسُمُ صُوَرًا ناصعةً منْ أطْوار حياتِه، وترْصُدُ مَثارات التّفرُّد في سيرتِه العلْميّة والْإبْداعية؛ وهي وشيكة التمام.

وكان منْ بواكير عنايتي بهذا الأمْر محاضرةٌ ألقيْتُها يوم ١٨ دجنبر ٢٠١١ م، بقصْر الثّقافة بتلمْسان، بمناسبة كوْنِها عاصمةً للثّقافة الإسْلامية، ومشاركةٌ في النّدْوة الدّوْليّة حول تحوّلات الْفكْر الأنْدلسي، المنعقدة بتطوان، بتاريخ ١١-١٢ دجنبر ٢٠١٤، بموضوع «تطوّر الْكتابة الفهْرسيّة في الأنْدلس خلال الْقَرْن الثّامن»، ثمّ محاضرةٌ بعُنوان «التّراث المخْطوط لأبي جعْفر ابْن الزّيّات الْكلاعي»، بالمنْتدى

---

(١) كان ديْدَنُنا أن نُفْصِح عَن كثيرٍ من المخَبّآتِ، لكنّنا عَدَلْنا عنْ ذلك إلى حينه؛ لدواعٍ لا تخْفى على الخُلّصِ المشْتَغلين في الباب.

الإسْلامي بالشّارقة، يوم ١٢ أبريل ٢٠١٤ م، وهذا رابطُها على الشّبكة الْعَنْكبوتيّة: https://www.youtube.com/watch?v=nfzKIFqYidg.

* * * *

وإنّ عالمًا مُسْتبْحِرًا كـ**أبي الْفضْل الْعبّاس بْن عبد الله الْجَرَّاري** -عميدِ الأدب المغْربيّ غيْرَ مُدافع- من الرّعيل الأوّل منْ نوابغ المغْرب بعْد الاسْتقلال، عرفْتني أنحاءُ بيْتِه باحثًا وزَائرًا، وأَلِفَتْني أساريرُ وجْهِه -المفْترّةُ أبدًا عنْ ثغْر باسم- مُتردِّدًا لا يُردُّ ولا يُمَلّ، وبما عهدْتُ عنْه منْ حفاوةٍ جِبلِيّةٍ كلّما كلّمْتُه أوْ أفْضيْتُ بمكْنونِ خاطري بيْن يديْه، وبعَدْوى هي اللّذاذةُ عيْنُها، أوْرَثني بها حبَّ الأدب ورعْيَ ذِمامِ رائدِيه...بذا وبكثيرٍ ممّا أضربْتُ عنْ عَدِّه وحدِّه، حقيقٌ أنْ يكونَ سوْقُ هذْيِ هذا الجزْء إليْه أدْوَنَ منْ قضاء حقِّه أو اسْتيفاء قدْره، لوْلا أنْ علمتُ أنّه حفظه الله ينزِّلُ منْزُورَ ما أُطْرِفَ به، منْزلةَ ثهْلانٍ وثَبير، تعْظيمًا لجِرْمه، وجبْرًا لخاطِرِ المتوسِّمِ فيه، والآرِزِ إليْه... أخلاقٌ ثقِفَها في مَراضعه، ولَقِنَها عنْ والدِه، واسْتتبّ خُلوصُها إلى سُوَيْداءِ القلب منْه: [كامل]

«منْ مَعْشَرٍ سنّتْ لهمْ آباؤُهمْ ولكلّ قَوْمٍ سُنّةٌ وإمامُها»

فليتقبّلْ منّي هذا الإيرادَ المقْفرَ منْ رُواء الْبلاغةِ على عُجَره وبُجَرِه، وله الْفضْل[1].

---

(١) لا جَرَم، فهو أبو الفضل.

كما أُنِيطُ ذيْلَ هذا المهاد ببيانِ أنَّ منْ حظِّ هذا الجزْءِ، أنْ تولّى النّظرَ فيه على جهة التّشْريف، فقيهان منْ جِلّةِ فقهاءِ مرّاكش: الأسْتاذُ الْفَرَضيُّ النّحْويُّ الْبَركةُ صديقُنا سيّدي عبْد الرّحْمن لـگصير الْـمْطَاعي، ثـمّ عمُّنا وشيْخُنا الْفقيه المدرّس الخطيبُ الْواعظ، الحاج سيّدي محمّد الطبراني الصّقلّي الْحُسيْني، وقدْ كان بارَكَ الله فيه يتفيّأُ ظِلالَ تفرُّسِه فيَّ وأنا في مَيْعةِ الصِّبا وعُنْفوان الْحداثةِ، فصدّقَ اللهُ حُسْنَ ظنِّه بي، ومِنْ قبْلِه السّيّدُ الْوالدُ -أمْتعَ الله ببقائِه-، فجُوزيَا عنّي خيْرَ الْجزاء.

ويَدِين هذا السّفْرُ بهذا الإخْراج البَهيّ، إلى الشّيْخ المحدِّث المسنِد فخْر البحْرين، الأستاذ نظام محمد صالح يعقوبي، والأستاذ الشريف البحّاثة خالد السُّباعي الحسني؛ فلهما فائق الشُّكْران، وسابغُ الامتنان.

ومن الله بدْءًا وختْمًا نسْتمدُّ الحوْل والعوْن، وهو حسْبُنا ونعم الوكيل.

وكتب بمرّاكش:

م. الطّبراني (الصّقلي الْحُسيْني)؛ غفر الله له.

* * * *